# العلاقات السياقية في التراث العربي (نموذج ابن جني)

# Les liens contextuels dans le patrimoine arabe (Ibn Djenni comme modèle)

سالم صغير *

قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة المدية

تاريخ تقديم البحث 2019-03-20 تاريخ المراجعة 2019/2/22 تاريخ القبول 2019-04-18

**ملخص**

إن المتأمل في المدونات التراثية ، التي قاربت النصين القرآني والشعري يلحظ ذلك التباين والتنوع في تلك المقاربات ، ومن جملة هذه المقاربات ما أنجزه النحويون واللغويون ، ورغم أنّ النحو كامن في اللغة لا تؤدي وظيفتها التبليغية بدونه ، ورغم ما يبدو من تباين بين الدرسين اللغوي والنحوي إلا أنهما يتقاطعان في مقارباتهما لعديد من المقولات التي تناولت بعض مستويات اللغة وتفاصيلها ، من ذلك قضايا الدلالة والسياق الذي كان مادة لدراسة مستفيضة في أنساق كثيرة كالبلاغة ونقد الشعر، وعلوم القرآن وإعجازه

وتأتي هذه المقالة لتكشف عن بعض المقولات التي تحدد فهم أعلام التراث لقضايا السياق من خلال منجزاتهم في مقاربة النصين القرآني والشعري _ كما سبقت الإشارة _ وتتخذ مادة هذه المقالة من (ابن جني) بوصفه علما معروفا في الدرس اللغوي أنموذجا لمقاربة واستقراء تلك العلاقات السياقية الممكنة .

**الكلمات الدالة:** السياق ، التراث ؛ ابن جني

Abstract

Les liens contextuels dans le patrimoine arabe (Ibn Djenni comme modèle)

Celui qui contemple les blogues patrimoniaux qui ont traité les textes coranique et poétique remarque la différence et la diversité de leurs approches et parmi ces approches existent celles conçues par des grammairiens et des linguistes. Malgré le fait que la grammaire soit une partie constituante de la langue sans laquelle cette dernière ne peut assurer sa fonction informative et malgré la différence entre les perspectives linguistique et grammaticale, il existe des recoupements entre leurs approches de plusieurs propos qui ont eu pour objet quelques niveaux de langue et leurs détails tels que ceux relatifs à la signifiance et au contexte qui a été une matière pour des études approfondies de nombreuses formes comme la rhétorique, la critique de la poésie, les sciences du coran et ses miracles

La présente article tient à montrer quelques propos qui précisent la conception de plusieurs figures emblématiques du patrimoine de la notion de contexte et ce à travers leurs approches des textes coranique et poétique comme nous l'avons déjà expliqué en amont. Cet article adoptera Ibn Djenni ; une personnalité de grande notoriété dans la recherche langagière comme modèle pour appréhender et analyser les relations contextuelles possibles.

* salem.sagir@gmail.com

**مدخل**

لقد كان حقل الدراسة بين النحاة واللغويين متداخلا جدا ، ذلك أنّ النحو كامن في اللغة لا تؤدي وظيفتها التبليغية بدونه ، كما أنّ علم النحو نشأ في أحضان اللغة وترعرع في حجرها ، فـ " ( اللغة ) تعني اسم الجنس للكلام المنطوق أو المكتوب ، و ( النحو ) يعني العلم الذي يقيد ذلك الكلام بقوانين وأحكام خاصة ، وكلاهما يعتمد على الآخر ، فليس ثمّة لغة بلا نحو ، ويستحيل أن يقوم نحو بلا لغة"[1].

وقد كان النحاة يعدون أنفسهم أوصياء على اللغة ، حراسا لها من كلّ ما من شأنه أن يشين صفاءها ونقاءها ، وكان غلوّهم في ذلك سببا في صراع نشب بينهم وبين غيرهم ، فقد ذكر الرواة أنّ عبد الله بن إسحاق الحضرمي أكثر الرد على الفرزدق فهجاه بقوله :

" فلو كان عبدُالله مَوْلًى هجوتُه ولكنَّ عبدَاللّه مَوْلَى مَواليَا

فقال له ابن إسحاق : ولقد لحَنْتَ أيضاً في قولك : « مولى مواليا » وكان ينبغي أن تقول : « مَوْلَى موالٍ . » " [2]

وكان غلُوهم أحيانا سببا في الغموض والعسر ، ومن ذلك ما ورد أنّ أعرابيا وقف على مجلس الأخفش " فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه ، فحار وعجب وأطرق ووسوس فقال له الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون في كلامنا بما ليس من كلامنا [3]" .

**<u>التأسيس الإجرائي للدرس اللغوي</u>**

**<u>بين الشاهدين القرآني و الشعري :</u>**

كان منطلق النحاة واللغويين في ضبط اللغة ووضع قواعدها تضييق دائرة مَن بهم يُقتدى وعنهم يؤخذ الشاهد والمَثل ، بالإضافة إلى سنهم شرط الفصاحة ، وهو ما يجعل القواعد اللغوية تتأسس على كلام ذي طابع فني فابن جني يذكر أنّ غاية النحو " انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ، ليلحق مَن ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم ؛ وإن شذّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها . " [4]

وقد كان الشعر والقرآن أهم مصدرين في تقنين اللغة ووضع المعايير التي تحكمها " فكتاب ( سيبويه ) وهو يعدّ أعظم كتاب شامل لمباحث النحو ، كما كان الأساس الذي اعتمد عليه وعلى شواهده معظم النحويين قد ضمّ ( 1050) خمسين وألف شاهد من الشعر على حين لا توجد فيه سوى آيات قليلة إذا قرنت بالشعر ، إذ تقل عن ( 400 ) أربعمائة آية . "[5]

ويؤكد الجاحظ أهمية الشعر في التقعيد والتنظير بقوله : " ولم أر غاية النحويين إلا كلّ شعر فيه إعراب ، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كلّ شعر فيه غريب أو معنى صعب تحتاج إلى الاستخراج ، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كلّ شعر فيه الشاهد والمَثل . "[6]

وإذا كان النظام اللغوي الذي سعي النحاة إلى ضبطه" نظام تمتلكه الجماعة ، وهو ما عبّر عنه الخليل بأنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها ( بصيغة الجمع ) علله"[7] ، فإنّ هيمنة الشعر في الاستدلال والتمثيل جنوح إلى الفردي لا الجماعي ، إلى الكلام الفني لا العادي .

ورغم ذلك فإنّ جلّ النحاة واللغويين لم يكونوا كنظرائهم من المفسرين والبلاغيين الذين كان ديدنهم من الشاهد الشعري استخراج نفائس المعاني الكامنة في ظلال الكلمات على ضوء السياق ، والذين كانت تأخذهم الهزة والطرب للشعر الرائق الجميل ، فالبون شاسع بين الطائفتين .

## عينات شعرية للتدليل والاستقراء :

وحتى لا يكون في هذا الرأي تحامل وتعسف وشطط في الحكم نقف على بعض أقوالهم للنظر في دائرة اهتمامهم .

يقول كعب بن زهير متغزلا بسعاد ومتحدثا عن بعض خصالها :

" لكِنَّها خُلّةٌ قد سِيطَ مِنْ دَمِهَا فَجْعٌ ، وَوَلْعٌ ، وإخلافٌ ، وَتَبْدِيل"[8]

" يعني كعب ( بالخلة ) كما هو واضح : خليقة إخلاف الموعد التي اتّصفت بها سعاد ، إذ كانت تعد كعباً باللقاء وتخلفه ، ثمّ تعده فتخلف ، فلا تعرف للوفاء معنى ، ولا تقيم للصدق وزناً ، لانّ هذا الخلق مطبوع في فطرتها ، ومجبول منه دمها . وكعب يرى من ذلك

الإخلاف الويلَ والفجيعة وإحساسه به في غاية القوة والقسوة ، ومن هنا كان هذا في لفظه في غاية الوضوح والحضور ، فهذه الخلة ( فجع وولع وإخلاف وتبديل ) .

تأمل هذه اللحظة الأليمة ، لا سيما إذا عرفنا أنّ صاحبة الشاعر هنا ترحل وتفارق ، تأمل هذا ، ثمّ انظر إلى أي شيء تتحول هذه اللحظة الأليمة بيد السكري ، شارح ديوان كعب يقول : « سيط : خلط ، والذي يخلط به المسواط . والفجع : المصيبة ، الولع : الكذب يقال : رجل ولع : أي كذوب » . هذا كل ما قاله ، فقد تحولت على يد السكري اللحظة الأنثوية الماكرة الخادعة ، والتي فيها كل ذلك البلاء تحولت إلى حديث عن رجل ( ولع ) أي كذوب ، وفيه : ولع وولعان ، أي كذب...وهو هنا لا يزيد عن الشرح المعجمي أو اللغوي ، فيعرض لك المفردة على أنها وحدة مستقلة عن أخواتها ، ويغرق في شرح أصلها اللغوي بعيداً عن البيت الذي هي فيه ، ولا يعرض البتة لما كان يعتصر قلب الشاعر وتضطرم به جوانحه . "[9]

هذا هو المنهج اللغوي الذي انتحاه جلّ اللغويين من شُرَّاح الشعر ، وقلّ أن يشذّ عنهم واحد فيلج جوّ القصيدة ، ويَقرَب نسائم البيت ومقاصده ، ويتلمس مراميه من خلال سياقه .

وليس هذا الرأي بدعا ففي أبيات لمعدان بن عبيد الطائي وجهها لمروان بن الحكم منها :

أَلَمْ تَرَ لِلْخِلَافَةِ كَيْفَ ضَاعَتْ  إِذَا كَانَتْ بِأَبْنَاءِ السَّرَارِي

أفرط (التبريزي) " في مناقشته للفظة « السراري » الواردة في البيت ، وهي مناقشة فيها إفاضة وإسهاب قال : ( السراري جمع سُريّة وحق الجمع أن يكون مشدّد الياء فخففه للضرورة ، وقد اختلف في اشتقاقها فقيل : هي من السر الذي هو النكاح ، وقيل إنما سمي سراً لأنّه يُستَسرُّ به عن العيون ، وقيل : سميت سريّة لأنّ مالكها يسر بها وهذا أقيس من القول المتقدم لأنهم يسمون السرور سُرّاً بضم السين ..."[10]

ويمضي (التبريزي) في شرح هذه المفردة بأكثر مما قال آنفا ، وهو بهذا يهدّ بناء البيت ويقطّع أوصاله " فهذا الاستطراد المسهب في شرح لفظة ترد في بيت من أبيات الاختيار وإن كان له قيمته في التوسع اللغوي الذي تميّز به شرح التبريزي فإنّه في الوقت ذاته قد أخلّ بإحدى صفات هذا المنهج المتمثلة في إيراد العناصر محاطة بالتناسق والتنظيم مشمولة بالمواءمة التي لا تجعل عنصراً يطغى على العناصر الأخرى . "[11]

وإذا كان الإعراب الذي هو النحو كشف عن المعاني بالألفاظ ، فإنه على مستوى الممارسة غدا صنعة لذاتها ورياضة ذهنية لا وسيلة لبيان المعنى وكشفه عند كثير من النحاة

" يقول (ابن الأنباري) شارحاً بيتاً لامرئ القيس :

فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلل

« موضع ( تبعديني ) : جزم بلا وعلامة الجزم سقوط النون ، و( الجنى ) مجرور مخفوض بمن ، و ( المعلل ) نعته » .

ويقول شارحاً لبيتين من معلقة امرئ القيس :

أغرّك مني أنّ حبك قاتلي وأنّك مهما تأمري القلب يفعلِ

« (من) صلة (أغرّك) و (أنّ) موضعها رفعٌ بأغرّك ... و (قاتلي) موضعه رفعٌ لأنّه خبر (أنّ) ، و( أنّ ) الثانية موضعها رفعٌ لأنها منسوقة على ( أنّ ) الأولى و (الكاف) اسم ( أنّ ) و ( تأمري ) مجزوم ( بمهما ) ، وعلامة جزمه سقوط النون ، و (القلب) منصوب (بتأمري) »

هكذا ، وكأنّ الإعراب رياضة ذهنية وليس له أيّ أثر على المعنى ، أو كأنّه غاية أساسية من غايات الشارح ، بل كأنّه أهمّ غاية له ، لأنّ أكثر كلامه في الشرح يدور على الإعراب بل الإعراب البسيط منه ، والكتاب مسماه : شرح القصائد ، وليس إعراب القصائد . " [12]

أما الزمخشري ، فيتجاوز هذا المنحى في الإعراب حيث يتجلى عنده التوصيف في خضوع الإعراب للمعنى ، يتضح ذلك _ مثلا _ في قوله تعالى : ( ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) حيث يقول الزمخشري : " ومحل (هدى للمتقين) الرفع ، لأنّه خبر مبتدأ محذوف ، أو خبر مع (لا ريب فيه) لذلك ، أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبراً عنه ، ويجوز أن ينصب على الحال ، والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف ، والذي هو أرسخ عِرقاً في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحاً ، وأن يقال : إن قوله : (ألم) جملة برأسها ، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها ، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية ، و(لا ريب فيه) ثالثة ، و(هدى للمتقين) رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم ، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لمجيئها متآخية أخذاً بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معنقة لها ، وهلم جراً إلى الثالثة والرابعة . "[13]

**السياق إجراء في تحديد الدلالة :**

ومقابل هذا بدا فريق من النحاة واللغويين أكثر تحررا من قيود الصنعة ، وهي الفئة التي أطالت النظر لاستنباط المعاني الكامنة في النصوص والمناسبة للسياق ، ولعلّ مرجح هذا التحرر " أنّ إدراجهم القرآن والشعر في عداد المصادر اللغوية قد نبّههم إلى بعض خصائصهما النوعية ودفعهم ، في نطاق مشاغلهم النحوية ، إلى جملة من الملاحظات البلاغية المفيدة خاصة أنّهما يخرجان على معهود الكلام ويستعملان اللغة استعمالا خاصا لمقاصد فنية واضحة . "[14]

وبرهان ذلك التشبيه الذي جذب انتباههم وأثار إعجابهم كوسيلة بلاغية تصور وتمثل لتقرب فـ " من الطرق النادرة في تعريف المتصور النحوي طريقة الوصف التمثيلي وذلك أن يعمد النحوي إلى استعمال صورة فنية قائمة أساسا على ما يسميه البلاغيون بالتشبيه التمثيلي تكون فيه الصورة المشبهة هي المتصور وتكون الصورة المشبهة بها شيئا غريبا عنه ، والهدف من هذا التشبيه تقريب المعنى وتسهيل إدراكه .

ومن أكثر الصور التمثيلية تواترا في مدونة النحاة ( صورة القدر والنار ) التي يعتمدونها في توضيح بعض وجوه العمل النحوي وخصوصا العمل بالواسطة وهو ما يوضّحه السيرافي في السياق التالي فيقول : « إنّ العوامل تختلف أعمالها ومعمولاتها فمنها ما يعمل فيه بأن يكون إلى جنبه وملاصقا له ، ومنه ما يعمل فيه بواسطة بينهما ، وقد كان بعض أصحابنا يشبه هذا بالنار التي تعمل فيما في القدر بتوسط القدر بينهما ، وتؤثر فيه تأثيرا ما وتؤثر في القدر الإحماء والتسخين ، فقد أثرت في القدر بلا واسطة وأثرت فيما فيها بواسطة وهي القدر . وهذا تقريب » .

ومن الأمثلة المجسدة لهذه الصورة الفعل الذي يعمل في الفاعل مباشرة عمل النار في القدر ، ويعمل في المفعول بالتوسط عمل إحماء القدر ما بداخلها"[15]

ولا خلاص للنحاة واللغويين في فهم كثير من النصوص إلا استصحاب السياق ، ذلك أنّ الدراسة النحوية المحضة بمعزل عن الاعتبارات التخاطبية قد تفضي إلى معنى مشوّه ، فقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ) [ النساء : 43 ] قول دال ، لكن الاكتفاء به لا يفي بالغرض المقصود ، بل يرتد المعنى إلى الضد ، وهو النهي عن الصلاة مطلقا .

" وفي قول الكميت :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

يذكر النحاة أنّ قوله : « وذو الشيب يلعب » يحتمل أن يكون استفهاما إنكاريا بهمزة استفهام محذوفة ، ويحتمل أن يكون إخبارا ، والمعنى مختلف في الحالتين ، وما كان هذا الاحتمال ليرد في اللغة المنطوقة التي تتمثل فيها للسامع عناصر الموقف الكلامي حيث يسمع طريقة الأداء الصوتي ، وما يصاحبها من المتكلم من حركات أو إشارات أو نحو ذلك فيميز بين الإخبار والاستفهام . "[16]

## العلاقات السياقية عند أبي الفتح عثمان بن جني ( ت 392 هـ ) :

قام التفكير اللغوي عند (ابن جني) على إظهار القوة الإبداعية للغة العربية وبيان خصائصها الجمالية التي سحرته فقال : " وذلك أنني إذا تأملتُ حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة وجدتُ فيها من الحكمة والدقّة والإرهاف والرقّة ، ما يملك عليَّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غَلْوة السحر"[17]

وتراث (ابن جني) اللغوي يختزن مقدارا هائلا من التفكير البلاغي والأسلوبي ، وقد تجلّت فيه كثير من عناصر السياق التي اعتمدها في تخريجاته لمعاني الشعر والقراءات القرآنية .

## محددات السياق عند ابن جني :

وأوّل عنصر مكون للسياق في تفكير ابن جني هو معرفة اللغة والأنس بها ومزاولتها حتى يتمكن المتخاطبون بها من الفهم السليم والتأويل الصحيح ، لأنّه لمّا " كان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها ، وانتشار أنحائها ، جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه ، ويعتادونه منها ، وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عُرفهم ، وعاداتهم في استعمالها "[18] .

فالمتداول بين أفراد الجماعة المخاطبة هو السياق الحقيقي المحدد لكلّ معنى ، والموجّه لكلّ تأويل " فنحن نتلقى اللغة بما تختزنه ذاكرتنا من ودائع أصلُها هذه اللغة نفسها

التي تعلمناها وأصبحنا نفكر بها . وبذلك فهي تشكل سياقا نصدر عنه في تأويلاتنا وأحكامنا التقويمية . "[19]

فالسياق الذي يختزنه المتلقي من محيطه اللغوي يسعفه في إدراك الاستعمالات ، ويستند إليه كخلفية لفهم كثير من الظواهر الإبداعية .

وربما كان " السياق بمفهومه النصي حاضرا في ذهن ابن جني ، وذلك أنّه في تأويله لظاهرة الحذف كان يشترط وجود دليل عليه ، هو المعرفة بالسياق الذي قد يكون متمثلا في معنى مختزن في ذهن المتلقي نتيجة اعتياده التفاعل مع أساليب الحذف المماثلة للنموذج موضوع التأويل ؛ أو متمثلا في معنى قائم في سياق النص الكلي الذي ينتمي إليه هذا النموذج "[20]

لقد كان المعنى السياقي منطلق ابن جني في فهم الخطاب ، فبنية العبارة خاضعة لوظيفتها ؛ لأنّ الصيغة التي يختارها المتكلم يوجهها ويتحكم فيها غرض يراد تبليغه .

" لقد وضع (ابن جني) البلاغة على طريق التأويل الذي يرى للاختيارات اللغوية وجوها أسلوبية ينبغي التنقير عليها وأغراضا خفية مستورة ينبغي إزالة الحجب عنها ؛ فهو لم يكتف بوصف ظواهر الاختيار الأسلوبي بل سعى إلى ربطها بالأغراض الداعية إليها مقدما ضربا من التأويل القائم على استثمار دور السياق في تلوين أشكال الاختيار اللغوي . "[21]

فلم يكن وقوفه على البنى اللغوية المختلفة عارضاً كما قد يبدو للكثير من أنّه تفنن وتصرّف تبيحه اللغة " بل كان يدعو إلى الاعتداد بما تنطوي عليه من دلالات وأغراض خفية ؛ فقد وقف على الفرق بين الخطاب بالجملة الاسمية والخطاب بالجملة الفعلية في عبارة : ( إذا زرتني فأنا ممن يحسن إليك ) قائلا : « أي : فحري بي أن أحسن إليك . ولو جاء بالفعل مُصارحا به فقال : إذا زرتني أحسنت إليك لم يكن في لفظه ذكر عادته التي يستعملها من الإحسان إلى زائره . وجاز أن يظنّ به عجز عنه ، أو وُنِيّ وفتور دونه . فإذا ذكر أن ذاك عادته ، ومَظِنَّة منه – كانت النفس إلى وقوعه أسكن ، وبه أوثق . فاعرف هذه المعاريض في القول ، ولا ترينَّها تصرفا واتساعا في اللغة ، مجردة من الأغراض المرادة فيها والمعاني المحمولة عليها »[22]

والدرس النحوي قد لا يهتم سوى بالفرق الشكلي بين جملة وأخرى " غير أنّ تأويلا من نمط آخر يقوم على افتراض أنّ العبارة اللغوية نتاج تفاعل بين العناصر السياقية المكونة لها يفضي إلى وجود فرق أسلوبي وبلاغي بينهما ، وهو فرق ليس هينا ، ذلك أنّ التعبير

عن الإحسان بلفظ الاسم يصوّر في ذهن السامع معنى لا يمكن لفظ الفعل التعبير عنه أو توصيله ؛ فهناك فرق بين أن تعبر عن إحسانك إلى الزائر وبين أن تعبر عن عاداتك في الإحسان إليه ، وهو فرق « تداولي » مرتبط بغرض المتكلم وفهم المتلقي "[23]

على هذا النحو وفي ضوء خضوع البنية للوظيفة ومواءمة التعبير للسياق " اضطلع ابن جني بتأويل جملة من الاختيارات اللغوية الأسلوبية ؛ فقد فضّل قراءة ( أَفَحَسْبُ الذين كفروا ) ساكنة السين ، على قراءة ( أفَحَسِبَ الذين كفروا ) ؛ أي « أفَحَسْبُ الذين كفروا وحظُّهم ومطلوبهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياءَ ؟ بل يجب أن يعدُّوا أنفسهم مثلهم فيكون كلهم عبيدا وأولياء لي » وهذا « أذهب في الذم لهم » ؛ وذلك لأنّه جعله غاية مرادهم ومجموعَ مطلوبهم ، وليست القراءة الأخرى كذا "[24]

وكثيرا ما يتجاوز (ابن جني) " المدلول الضيّق لسياق الجملة إلى الاستدلال بالنص ؛ فقد عرض لقراءة (حِطَّان بن عبدالله) : ( وما مُحمَّد إلا رَسول قد خَلت من قبله رُسُل ) قائلا : « هذه القراءة حسنة في معناها ، وذلك أنه موضوع اقتصاد بالنبي ( صلى الله عليه وسلم ) وإعلامٍ أنه لا يلزم ذِمتَه ممن يخالفه تبعة ، لقوله تعالى : ( وما على الرّسول إلا البلاغ المبين ) وقوله : ( أفأنت تُسمِع الصُّمَّ ) .. فلمَّا كان موضوع اقتصاد به ، وفك ليد الذمّ عن ذمته . وكان من مضى من الأنبياء (عليهم السلام) في هذا المعنى مثلَه - لاق بالحال تنكير ذكرهم ... وذلك أن التنكير ضرب من الكف والتصغير ، كما أنّ التعريف ضرب من الإعلام والتشريف» إنّ تأويل ابن جني لأسلوب التنكير وإن قام على استثمار مقومات السياق المشار إليها سالفا فإنّه اعتمد في استدلاله على السياق بمدلوله الواسع المتمثل في القرآن باعتباره خطابا يحتوي على مجموعة من الدلالات المؤكدة للمعنى المستفاد من أسلوب التنكير في القراءة المذكورة . وهذا لا يعني أنّ تأويلات ابن جني كانت تستند إلى السياق بمدلوله النصي، فكل ما نقصد إليه هو أنّ توسله بهذا المعيار في تأويل أساليب اللغة لم يكن يستبعد النص ، الذي يمثل سياقا دلاليا تنتمي إليه العبارة اللغوية موضوع التأويل "[25]

كما يمثّل المتلقي فاعلا وموجها للدلالة يستند إليه ابن جني للإسهام في رسم معاني الشعر واستكناه أقصى طاقاته الكامنة ، فالشعر يفتح زاوية لمتلقيه ليتعاطى معه ، ويسهم في بيان محاسنه بإعمال نظره وكثرة تأمّله فيه ، وقد كان ابن جني نفسه غواصا في مسالك الشعر بما يمتلكه من محفوظ شعري وفير ، وذاكرة قوية مسعفة في التخريج والتأويل ، وهو

في ذلك يستند على السياق بمفهومه القائم على غرض المتكلم الذي يخضع نظم الكلام له والمقام الذي يحدث فيه ، وذخيرته المعرفية التي تسعفه في تفاعله مع النص باعتباره متلقيا مشاركا في توجيه المعنى ، ومن ذلك تأويله قول المتنبي في مدح كافور :

وما طرَبي لمَّا رأيتُك بدْعةً  لقد كنتُ أرْجو أَن أَراك فأَطْربُ

" قال ابن جني : لما قرأت على أبي الطيب هذا البيت قلتُ له : مَا زِدتَ على أن جعلت الرجل قردًا ، فضَحِك "[26] ، فابن جني استحضر في تأويله قول المتنبي السياقَ بمفهومه العام والمتنبي نفسه كان يقول ابن جني أعرف بشعري مني .

وكان (ابن جني) – رحمه الله – يكثر في شرحه الشعر من قول :

( ويجوز أن يكون ) وهو برهان على أنّ الشعر حمّال أوجه ، و" مثال ذلك قول المتنبي أيضا :

ما الخِلُّ إلا مَنْ أَوَدُّ بِقَلْبِه  وأرَى بِطَرْفٍ لا يَرى بِسَوائِه

وهو يحتمل معنيين :

- ليس لك خلّ غير نفسك ؛ فقد فسد الناس ولم يعد ممكنا الاطمئنان لمن يدعي أنه خليل لك

- إنّ من يستحق أن يكون خِلاً هو من لا فرق بيني وبينه ، فإذا وددت فكأنني بقلبه أود وإذا رأيت فكأنني بطرفه أرى "[27]

كما استعان (ابن جني) بسياق الحال لفهم الخطاب " ويمكن أن تكون الحال ملامح المتكلم وما يصدر عنه من حركات فإذا قلت سألناه فكان إنسانا

و ( تزوي وجهك وتقطّبه ) أغنى ذلك عن قولك « إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخّلا"[28]

ويرى أنّك تقول " سألناه فوجدناه إنسانا فتمكن الصوت بإنسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك إنسانا سمحا أو جوادا "[29]

" وقال في موضع آخر : والذي يدل على أنّهم قد أحسوا ما أحسسنا ، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان : أحدهما حاضر معنا والآخر غائب عنا ، إلا أنّه مع أدنى تأمل في حكم الحاضر معنا . فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من

أحوال العرب ووجوهها ، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها : من استخفافها شيئاً أو استثقاله ، وتقبله أو إنكاره والأنس به أو الاستيحاش منه ، والرضا به ، أو التعجب من قائله وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقُصود بل الحالفة على ما في النفوس ... "[30]

ومن أقواله في حضور العناصر غير اللغوية الموجهة لدلالة الخطاب : " فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلّف القائل ولا كلّف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه ... وعلى هذا قالوا : رب إشارة أبلغ من عبارة... "[31]

إنّ تبليغ المراد في نظر (ابن جني) لا تضطلع به اللغة الطبيعية المتداولة بين الناس فحسب " بل يحتاج المتكلم بها إلى أمور منها حضور مخاطبه معه ، ورؤيته له ، إذ انكشافه له ليس يستوي واختفاءه عنه أو تكليمه له في الظلمة ، يقول : « أو لا تعلم أنّ الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه فيقول له : ( يَا فُلَانُ أَيْنَ أَنْتَ أَرِنِي وَجْهَكَ أَقْبِلْ عَلَيَّ أُحَدِثكَ أَمَا أَنْتَ حَاضِر يَا هَنَاه ) ، فإذا أقبل عليه وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك ، فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه وعلى ذلك قال :

العَيْنُ تُبْدِي الذِي فِي نَفْسِ صِاحِبِهَا  مِنَ العَدَاوَةِ أَوْ وُدّ إِذَا كَانَا

وقال الهذلي :

رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرَعْ  فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الوُجُوهَ هُمُ هُمُ

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلا على ما في النفوس وعلى ذلك قالوا ربّ إشارة أبلغ من عبارة . وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله : أَنَا لَا أُحْسِنُ أَنْ أُكَلّمَ إِنْسَانًا فِي الظُّلْمَةِ » .

وفي الكلمة الأخيرة حكمة تداولية عجيبة تؤسس لقاعدة تواصلية تسبق عصرها بقرون من الزمن حيث إنّ تعابير الوجه وتفاصيله وحركات المتكلمين فيما بينهم هي في ذاتها لغة ومعان تكميلية دقيقة للعملية التواصلية ، وهي موضوع درس جديد اليوم يسمى بعلم الكنزياء kinesics أو علم الإشارات الجسدية المجردة . "[32]

لقد تنبه (ابن جني) إلى فاعلية السياق في توجيه دلالة الخطاب ، ويرى أنّ المقال كما ورد عن صاحبه لا يكفي وحده للفهم " بل يلزم للناظر الناقد التفتيش عن أحوال الرواة حال قولهم وما أحاط بهم من قرائن لفهم أقوالهم ، وسمى هذه العملية الوصفية نقل الحال ، يقول « وليست كلّ حكاية تروى لنا ولا كلّ خبر ينقل إلينا يُشْفَعُ به شرحُ الأحوال التابعة له المقترنة به . نعم ، ولو نقلت إلينا لم تُفِدْ بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها » ، فيفهم من ذلك أنّ المرويات تحمل في طيّها معلومات تظل تنقصها مكملاتها مما يحمله السياق من قرائن تفيد في جلاء المعنى وصفاء الصورة ، كما أنّ الجمل أو الملفوظات بلغة التداوليين تحتاج إلى التمام السياقي contextual completness أي أن تكون الجملة أو الملفوظ غير كاملة في حدّ ذاتها ، لكنها كاملة إذا أخذ سياقها بعين الاعتبار ، والتمام السياقي عندهم في مقابل التمام النحويgrammatical completeness "[33]

وقد اعتمد (ابن جني) في رؤيته لسياق الحال على تمثل مقولات أسلافه من الأعلام وخاصة " سيبويه وفلسفته النحوية التي يرجح فيها أن يكون المتكلم أو السامع " الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر ، يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل ، فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس وعيسى ابن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها ، وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات وتضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها ، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه غير متهم الرأي والنحيزة والعقل "[34]

ويمكن إجمالا أن نقرر مع الأستاذ نعمان بوقرة في توصيفه للتفكير البياني في ارتباطه بالدرسين اللغوي البلاغي حين يقول : " لقد صدر التفكير البياني العربي في النحو والبلاغة والتفسير والأصول عن رؤية تداولية تتعامل مع النص المعطى في ضوء القرائن السياقية والمقامية غير حاصرة للمعنى في الدلالة الحرفية ، من خلال التركيز على الأغراض والمقاصد الأساسية للكلام مما يجعلنا نقرر أهمية ما توصل إليه الفكر العربي الأصيل ممثلا بالجاحظ والجرجاني ، وابن حزم وحازم القرطاجني ، وغيرهم من الأئمة الأعلام في مجال تحليل اللغة الطبيعية بالنظر إلى المكونات الثلاثة التي تحرص التداولية أو البراغماتية الحديثة على العناية بها ، وهي : المكون النحوي ، والدلالي والتداولي "[35]

## خصائص التشكيل الصوتي وضابط السياق عند ابن جني

للأصوات ظلال معنوية أثارها العلماء قديما ، وسار على نهجهم كثير من المحدثين *[36] والمتأمل في القرآن الكريم - مثلا - يلحظ أنّ الخطاب متعالق ومترابط الأجزاء ، ومن ذلك التناغم والانسجام بين صوت الكلمة ومعناها ، ومواءمتها لموقعها المحدد ، ففي القرآن طائفة من الألفاظ المنتقاة تتناسب أصواتها مع أصدائها ، وتُستوحى دلالاتها من صياغتها وجرس أصواتها ، فهي دالة بذاتها على ذاتها . والقارئ المتمعن للقرآن يتولاه العجب وتتباين مشاعره لما يمرّ به ؛ فتارة يرتفع في سلم الرجاء ، وتارة أخرى يتهاوى في دائرة الخوف فيبلغ يأسه أقصاه ، وقنوطه منتهاه، وكل هذا يتأتَّى من التعالق والتواؤم بين الصوت والمعنى ، وهو ما أشار إليه ابن جني بقوله : " إن كثيرا من هذه اللغة وجدْته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ؛ ألا تراهم قالوا قضِم في اليابس ، وخضِم في الرَّطْب ؛ وذلك لقوّة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى ، والصوت الأضعف للفعل الأضعف "[37] ، ومن نافلة القول التذكير بأنّ هذه المشكلة استمر الخوض فيها بين القائلين قديما بالمحاكاة والوضع ، وحديثا بالاعتباط مقابل من يرى الأصوات معبأة بقيمة تعبيرية مضمرة تظهر حال تشكلها .

ولم يقتصر تدليل (ابن جني) لعلاقة الأصوات بالمعاني على محاكاة الألفاظ للأحداث المسموعات كخرير الماء ونعيق الغراب بل يكشف عن ذلك في عديد الأبواب منها : " باب في إمساس الألفاظ أشباهَ المعاني "[38]، وقد ذكر فيه أنّ (الخليل) و(سيبويه) وغيرهما قد نبّهوا عليه ومثّلوا له ، يقول : " فقالوا : كسَّر ، وقطَّع ، وفتَّح ، وغلَّق ، وذلك أنهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل بهِ قوّة الفعل "[39]

ورغم أنّه يرتد في التأصيل للتقابل بين الألفاظ والأحداث إلى (الخليل) و(سيبويه) إلا أنّ فضل التأسيس والتدليل للقوة والضعف والشدّة والرخاوة وغيرها يرتبط ب (ابن جني) أكثر من سواه ، ومن ذلك قوله : " فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونَهْج مُثْلِئِبٌ عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبَّر بها عنها ، فيعدّلونها بها ويحتذُونها عليها ، وذلك أكثر ممّا نقدّره ، وأضعاف ما نستشعِره .

من ذلك قولهم : خَضِم ، وَقَضِم . فالخَضم لأكل الرَّطب ؛ كالبِطّيخ والقِثَّاء وما كان نحوهما من الأكل الرَطْب . والقَضْم للصُلْب اليابس ؛ نحو قضِمتِ الدابّة شعيرها ، ونحو ذلك ... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَّطْب ، والقافَ لصلابتها لليابس ؛ حَذْوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث .

ومن ذلك قولهم : النضح للماء ونحوه ، والنضخ أقوى من النضح ؛ قال الله سبحانه : ( فيهما عينانِ نضّاختان ) [ الرحمان : 66 ] فجعلوا الحاء - لرقّتها - للماء الضعيف ، والخاءَ - لِغلظها - لما هو أقوى من "[40] .

لقد مثّلت قيمة الصوت التعبيرية خاصية جمالية للعربية ؛ اضطلع (ابن جني) بالتدليل عليها ما أمكنه ، وقد تناولها أحيانا في سياق بلاغي هو استكناه ما في الأصوات من قيم في مقامات خطابية متنوعة ، ومما له صلة بهذا ما أطلق عليه : "مساوقة الصيغة للمعاني "[41] بل يتعدى ذلك إلى ترتيب الأصوات – تقديما وتأخيرا – على حسب الأحداث المعبر عنها بها ، يقول : "ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر ، والحكمة أعلى وأصنع . وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبَها ، وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ؛ سَوْقا للحروف على سَمْت المعنى المقصود ، والغرض المطلوب .

ومن ذلك قولهم : شدّ الحبل ونحوه . فالشين بما فيها من التفشّي تشبّه بالصوت أوّل انجذاب الحبل قبل استحكام العَقْد ، ثم يليه إحكام الشدّ والجذب ، وتأريب العَقْد ، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين ، لا سيما وهي مدغمة ، فهو أقوى لصنعتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها . "[42]

وتجاوز استقراء (ابن جني) الدلالات المسموعة للأصوات إلى الدلالات النفسية المضمرة المرهونة بالسياق، وبذلك تمتدّ علاقة الصوت بالمعنى إلى أفق أرحب لتهدم فكرة الاعتباط والمصادفة ، وتؤكد مقولة التوافق المحكوم بالسياق الوارد فيه ، يقول (ابن جني) : " ومن ذلك قولهم : صعِد وسعِد . فجعلوا الصاد – لأنها أقوى – لما فيه من أثر مشاهَد يُرَى ، وهو الصعود في الجبل والحائط ، ونحو ذلك . وجعلوا السين – لضعفها – لما لا يظهر ولا يشاهَد حِسّا ، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجَدّ ، لا صعود الجِسم ؛ ألا تراهم يقولون : هو سعيد الجَد ، وهو عالي الجَد ، وقد ارتفع أمره ، وعلا قَدْره . فجعلوا الصاد لقوّتها ، مع ما

يشاهَد من الأفعال المعالَجة المتجشَّمةِ ، وجعلوا السين لضعفها ، فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين ، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية"[43]

وأغنى (ابن جني) العربية في مسائل اللفظ والمعنى – أيضا – ببابين آخرين هما : " باب في تصاقُب الألفاظ لتصاقُب المعاني "[44] ، والتصاقب: الدنو والتقارب *[45] ، و " باب في قوة اللفظ لقوة المعنى "[46] .

**الخاتمة :**

هذه مفردات موجزة ومركزة تحدد أهم المقولات التي تبني عليها العلاقات السياقية وكذا التفكير التداولي عند واحد من أهم أعلام التراث العربي (ابن جني) وهي إشارات تترجم عمق المنجز التراثي مثلما تؤكد أسبقيته بجدارة واقتدار في التأسيس لهذا النسق من الدرس الذي تناول مسار الدلالة وقد تجاوزت الوضع المعجمي إلى وضع تحتكم فيه إلى محددات السياق بكل مقولاته ومستوياته.

ولقد كان (ابن جني) رائدا في هذا الإنجاز ، دلت على ذلك تلك المحددات التي أطر بها درسه السياقي ، مثلما تجلت عبقريته في التوصيف وعمق التحليل والتعليل وكلها قرائن تؤكد بما لا يترك مجالا للشك تجاوز المنجز الغربي في بعض السياقات ، تنظيرا وتطبيقا في قضايا الدلالة والسياق والبحث التداولي .

## الإحالات والهوامش : /

[1]- عوض حمد القوزي ، المصطلح النحوي – نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1983م ، ( د.ط ) ، ص 5 .

[2]- – عبد العزيز عتيق ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ( د.ط )، ( د.ت ) ، ص 183 .

[3] – نصر حامد أبو زيد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء : المغرب ، ط3 ، 1994م ص 189 .

[4] – أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ( د.ط ) ، ( د.ت ) ، ص 34 .

[5] – عبد الجبار علوان النايلة ، الشواهد والاستشهاد في النحو ، مطبعة الزهراء ، بغداد العراق ، ط1 ، 1396 هـ - 1976م ص 29 .

[6] – أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، حققه وشرحه : حسن السندوبي ، دار المعارف ، تونس ( د، ط) ، (د .ت) ، ج3 ص 236 .

[7] – نصر حامد أبو زيد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، ص 187 .

[8] – ديوان كعب بن زهير ، صنعة الإمام أبي سعيد السكري ، شرح ودراسة : مفيد قميحة ، دار الشواف للطباعة والنشر الرياض ، السعودية ط 1 ، 1410 ه / 1989 م ، ص 110

[9] – عادل حسني يوسف ، فهم النص بين المفسرين وشراح الشعر ، بحث ضمن مجلة عالم الكتب ، المجلد التاسع والعشرون العددان الثالث والرابع ( ذو القعدة – ذو الحجة 1428 هـ / المحرم – صفر 1429 هـ ) ديسمبر 2007 – مارس 2008م ص 340 .

[10] – محمد عثمان علي ، شروح حماسة أبي تمام – دراسة مُوازنة في مناهجها وتطبيقها ، دار الأوزاعي بيروت ، لبنان ، ط1 ، ( د. ت ) ، ج1 ، ص 276 .

[11] – المرجع السابق ، ص 276 .

[12] – عادل حسني يوسف ، فهم النص بين المفسرين وشراح الشعر ، ص 343 .

[13] – الإمام الزمخشري ، تفسير الكشاف تحق : محمد مرسي عامر ، مر اجعة الطبع : شعبان محمد إسماعيل ، دار المصحف القاهرة ، مصر ، ج 1 ، ص 23 .

[14] – حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب - أسسه وتطوره إلى القرن السادس - منشورات الجامعة التونسية ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ( د ط ) ، 1981م ، ص 49 .

[15] – توفيق قريرة ، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب ، دار محمد علي للنشر ، صفاقس ، الجمهورية التونسية ، ط1 ، 2003م ، ص 153 .

[16] – – طاهر سليمان حمودة ، دراسة المعنى عند الأصوليين ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية ، مصر ، (د.ط) ، ص 218 .

[17] – أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 47 .

[18] – – محمد مشبال ، البلاغة والأصول – دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي – " نموذج ابن جني " ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2007م ، ( د.ط ) ، ص 195 .

[19] – المرجع نفسه ، ص 195 .

[20] – محمد مشبال ، البلاغة والأصول – دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي – ص 197

[21] – المرجع نفسه ، ص 201 – 202 .

[22] – المرجع نفسه ، ص 200

[23] – – المرجع نفسه ، ص 200 - 201 .

[24] – المرجع نفسه ، ص 205 .

[25] – المرجع نفسه ، ص 208 - 209

[26] – علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة مع دليلها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، الجزائر ( د.ط ) ، ( د.ت ) ص 10 .

[27] – محمد مشبال ، البلاغة والأصول ، ص 248 – 249 .

[28] – عبد القادر المهيري ، بحوث في اللغة وتراثها وتدريس النحو ، جامعة منوبة ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات ، سلسلة اللسانيات ، تونس ، 2008 م، ص 120 .

[29] – المرجع نفسه ، ص 120 .

[30] – – منى الياس ، القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 1405هـ - 1985م ، ص 73

[31] – عبد القادر المهيري ، بحوث في اللغة وتراثها وتدريس النحو ، ص 46 .

[32] – إدريس مقبول ، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ط1 ، 2006 م ، ص 311 - 312 .

[33] – المرجع نفسه ، ص 304

[34] – المرجع نفسه ، ص 304 – 305 .

[35] – نعمان عبد الحميد بوقرة ، منطلقات الفكر التداولي العربي في ضوء المدونة التراثية ، مجلة عالم الكتب ، المجلد التاسع والعشرون ، العددان الخامس والسادس ، الربيعان – الجماديان 1429 هـ - أبريل – مايو / يونيو – يوليو 2008 م ص 578 .

[36] – أول مَن أشار إلى هذه العلاقة - في ما أعلم - الخليل بن أحمد ( ت : 175هـ ) ، ووافقه في هذا سيبويه ( ت : 180هـ ) ووسعها بالاستشهاد والتحليل والتعليل ابن جني ( ت : 392هـ ) ، ينظر : ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص 152 ، باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني ، وقد سلك سبيلهم كثير من المحدَثين منهم : الدكتور صبحي الصالح الذي يردد ما لاحظه العلماء من مناسبة حروف العربية لمعانيها كقوله : " كلّ حرف منها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معين ، وكلّ حرف له ظلّ وإشعاع ، إذْ كان لكلّ حرف صدى وإيقاع " ينظر : صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، الفصل الثالث ، مناسبة حروف العربية لمعانيها - القيمة البيانية للحرف الواحدة- ص 141 . ويناصر محمد المبارك فكرة القيمة الدلالية للحرف ، ووظيفته في بلورة المعنى وتحديده في قوله : " ونستطيع أن نقول في غير تردد أنّ للحرف في اللغة العربية إيحاءً خاصاً فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه وإيحاء ويثير في النفس جواً يهيئ لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحي به " ينظر : محمد المبارك فقه اللغة وخصائص العربية ، باب : الوظيفة البيانية والقيمة التعبيرية للحروف في اللغة العربية ، ص 26

[37] . أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 65 .

[38] – .المرجع نفسه ج2 ، ص 152

[39] – المرجع نفسه ، ص 155

[40] – المرجع نفسه ، ص 157 - 158

[41] – المرجع نفسه ، ص 159

[42] – المرجع نفسه ، ص 163

[43] – المرجع نفسه ، ص 161

[44] – المرجع نفسه ، ص 145

[45] - ينظر : الإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، بتحقيق : الأستاذ عبد الرحيم محمود دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ( د.ط ) ، ( د.ت ) ، ص 256 ، مادة ( ص ق ب ) .

[46] – أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، ج3 ، ص 264 .